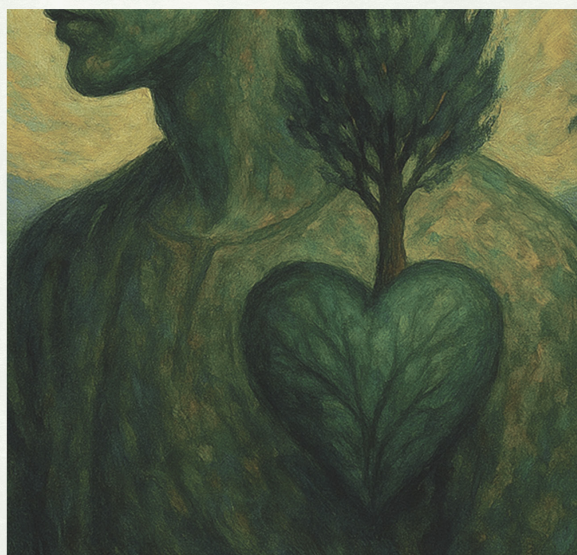


ليكن قلبك أخضر

شعر



صهيب محمد خير يوسف

شعر

ليكن قلبك أخضر

صهيب محمد خير يوسف

[كُتبت نصوص هذه المجموعة
في مدينتي الرياض وإسطنبول
نشرة رقمية
إسطنبول - ٢٠٢٥ م
© الحقوق محفوظة للمؤلف]

نديمُ الخيالِ الملوّنُ
 رأى الحزنُ في قلبه وطنًا خاليًا.. فتوطنَ
 وسُرَّ عانَ ما امتدَّ حُلْمٌ قديمٌ إلى خلوةِ الروحِ..
 واختارَ أن يتكوّنَ
 على وزنِ أبياته..
 فتمكّنَ
 لذلكَ لم يدرِ قرأوه أيُّ يوميه أصفى، وأيهما كانَ
 أحزنَ..

علينا التحركُ نحوَ مَباهِجنا قُدُماً بقراءةِ شيءٍ جميلٍ
 بيتٍ من الشعرِ نُنشدُهُ.. وأرى الشعرَ [أهدى سبيلُ]
 إلى صُنعِ يومٍ بديلٍ

بمِشيٍّ وحيدٍ الأناغيمِ بين سُهولِ النَّدى والنَّجِيلِ
 بإطلالةٍ من بعيدٍ على مَشهدِ الشمسِ وهي تودِّعُنا
 وتميلُ..

لقد أخذتُ يومنا متعباً، ومضت في زمانٍ الأصيلِ
 بعكسِ الطَّرِيقِ الذي كلَّ يومٍ نسيرُ عليه..
 فَرُبَّ طريقٍ طويلٍ.. طويلٍ
 يؤدِّي إلى المُستحيلِ

بَضْحَكَةٍ صَحْبٍ تَصْعَدُ أَصْدَاءُهَا فِي أَعَالِي النَّخِيلِ
بِعُطْفٍ عَلَى مَا لَنَا مِنْ قُلُوبٍ جَرَتْ فِي مَسَارِبِ أَحْزَانِهَا
كَالْحَيُولِ

بِظَنٍّ بَأَنَّ الَّذِي قَادِمٌ سَيَكُونُ جَمِيلًا..
وَأَجْمَلُ مِنْهُ إِذَا حَلَّ حَاضِرُنَا فِي مَقَامِ الْقَبُولِ
عَلَيْنَا التَّحَرُّكُ..

قَدْ أَرَهَقَتْنَا الْحَيَاةُ كَثِيرًا.. وَنَحْنُ الدَّلِيلُ.

ساعةً.. في مكانٍ بعيدٍ
 معَ حرفٍ أليفٍ ومعنىٍ شريدٍ
 تجعلُ الروحَ أصفى، وتمنحُ أشواقنا ما تُريدُ
 ساعةً من زمانٍ مديدٍ
 يستعيدُ الخيالُ بها خُصرةَ العُمُرِ..
 يرجعُ طفلاً يغني لأحلامه ويُعيدُ:
 لا تدعَ لحظةَ الحلمِ تذهبُ دونَ انتظارٍ لحلمٍ جديدٍ.

أَدْرَبُ قَلْبِي عَلَى فِتْنَةِ الشُّعْرِ هَذَا الصَّبَاحُ
نَعَمْ.. رَائِعٌ أَنْ أَرَى فِيهِ مَا لَا أَرَى فِي الْمَسَاءِ الْمُبَاحِ:
أَرَى أَثْرًا مِنْ بَكَاءٍ تَنَفَّسَ بَعْدَ غِيَابِ السَّلَاحِ
أَرَى الدَّفْءَ بَيْنَ أَصَابِعِ شَيْخٍ تَبَسَّمَ بَعْدَ سُكُونِ الرِّيحِ
وَمِئَذْنَةً تَتَلَطَّفُ: حَيٍّ عَلَى دَرَجَاتِ الْفَلَاحِ
.. قَلِيلًا مِنَ الْوَمَضِ يَا أُمْسِيَّاتِ الْجِرَاحِ
بِحَاجَتِهِ.. كِي أَوَازِنَ تَغْرِيدَتَيْنِ فَقَطْ مَعَ عُمْرٍ مَضَى فِي
النُّوَاخِ.

أَتَعَمَّدُ لِمَسِّ الْكَلَامِ بِقَلْبِي
 رَبِّمَا لَا مُيَزَّ صَوْتِ الْمُؤَلِّفِ عَنْ صَوْتِ أَوْرَاقِهِ فِي كِتَابِ
 بِقُرْبِي

أَوْ أَفَرَّقَ مَا بَيْنَ رُوحِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَالْمُتَنَبِّي
 أَوْ أَقَارَنَ مَا بَيْنَ حَنْجَرَتَيْنِ تَهْدَجَتَا فِي مَوْشَحِ حُبِّ
 أَتَعَمَّدُ لِمَسِّ الْكَلَامِ بِقَلْبِي..

فَيَنْبُتُ فِيهِ كَلَامٌ جَدِيدٌ، وَيُنْكَشِفُ السِّرُّ فِي طَبَقَاتِ
 الصَّدى الْمُتَخَبِّي.

أَمِيلُ إِلَى الشُّعْرَاءِ
 الَّذِينَ يُسَاهِرُهُمْ وَطَنٌ مَهْمَلٌ مِثْلَ خِيْمَةٍ لَاجِئَةٍ فِي
 هَزِيعِ الشِّتَاءِ
 لَقَدْ مَرَّ عُمَرُ تَحَمَّرَ فِيهِ الْكَلَامُ، وَأَوْغَلَ فِي مُعْجَمَاتِ
 الْبُكَاءِ
 قَرِيبِينَ كُنْتُمْ مِنَ الْجُرْحِ ..
 كَانَ الْخِيَالُ يَنَادِيكُمْ، فَتَمِيلُونَ مِنْ جَذْبِهِ، وَيَهَيِّمُ بِكُمْ فِي
 مَعَانِي الْعَنَاءِ

وكيف خرجتُم بهذا الجمالِ من الحربِ؟
هل كان للقصفِ حولَ قصائدكُم أثرٌ في التشبُّثِ أكثرَ
بالحُبِّ أو بالبقاءِ؟
أميلُ إلى مَنْ يغنُّونَ حتى تغرَّدَ أحلامُهم ذاتَ شعرٍ..
وليسَ لهم بعدَ ذلكَ إلَّا مواصلةٌ للغناءِ.

أَحِبُّ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْحَزَانِي
وَمَنْ قَرَأُوا أَلَمَ الْيَاسْمِينِ، وَمَنْ كَتَبُوا الْأَرْجَوَانَا
وَمَنْ مُفْرَدَاتُ مَسَاءَتِهِمْ كَالصَّبَاحِ..
لَطِيفًا عَلَى الْقَلْبِ كَانَا
وَمَنْ يَمْنَحُونَ الْقَصِيدَةَ «رُؤْيَا» الْبَعِيدِ..
وَيَنْتَظِرُونَ الْأَمَانَا

وَتُعْجِبُنِي حِكْمَةُ الشُّعْرَاءِ، وَمَنْ يَعْرِفُونَ مِنَ النُّورِ
لَحْنًا..

تَكَادُ تَحِيطُ بِفِكْرِي قِصَائِدُهُمْ..

وَأَعُودُ زَمَانًا زَمَانًا

نَعَمْ يُبَدِّعُونَ، وَتَحْضُرُ أَرْوَاحُهُمْ فِي الْمَدَائِنِ إِذْ يَصِفُونَ
الْمَكَانَا

أَوَّلُكَ أَطْرَبُ مِنْهُمْ إِذَا كَتَبُوا، وَأَقُولُ:

حَنَانًا عَلَى مُتَلَقِّي الْجَمَالِ.. حَنَانًا.

ولي أصدقاء هناك..
 حقيقةً مفرداتٌ توجّعهم، ينزعون إلى المتخيل
 إذا كتبوا عن قتيلٍ..
 تدبُّ الحياةُ به، ويضيءُ دمٌ في الشهيدِ المجلَّلِ
 أو اقتربوا من مناظيرِ قنّاصةٍ..
 تُصبحُ البندقيةُ غيمةَ أحلامهم، والرصاصُ إلى مطرٍ
 يتحوّلُ
 أخافُ عليهم من الحاجزِ المترصّدِ في آخرِ الوعدِ..
 أخشى على زغرداتِ قصائدهم أنْ تؤجّلَ.

قريباً من الشعرِ ما زلتُ.. إنَّ «المطر»
يَغيبُ طويلاً..

ولكنهُ حينَ يرجعُ ينبُتُ كالكلِماتِ الشجرُ
لعلَّ الغيابَ الطويلَ يعرِّفُني كيفَ يصنعُ معجمَهُ شاعرٌ
كان يدركُ سرَّ المعاني..

وكيف يشقُّ ألفاظَهُ، ويدوِّرها كالدررِ
قريباً من الشعرِ كنتُ، وما زلتُ..
لكنَّها الرِّيحُ تجري بما لا يشاءُ النهرُ.

تُراوِغُني فِكْرُهُ هَارِبُهُ
 فأَكْتُبُها في حَواشي المطرِ
 لديّ من الشَّعرِ ما أَكْتَفِي بِطبيعتهِ الخالِبَةِ
 عنِ المشي بين الشَّجرِ

لقد مرَّ عشرونَ عامًا وما زلتُ ألوي زِمَامَ القصيدةِ
 لكي لا تطولَ الطريقُ
 أحبُّ مُتُونِ القصائدِ طيِّعَةً.. وعنيدَةً
 وتُعجبني شِبْهَ واضِحَةٍ.. كابتعادِ الشروقِ

مررتُ على مُعْجَمِ السابقينَ، فما أكرمَ الشُّعراءِ!
 وقفتُ على الكلماتِ الجديدةِ أيضًا

لكلِّ زمانٍ جماليَّةٌ وعطاءٌ
على الرُّوحِ قد فاضَ فيضاً

تُرى ما هوَ الشعرُ بينَ الفنونِ؟
- سألتُ.. سألتُ -

فَقِيلَ: اشتباكُ النَّدَى بالغُصونِ
وقيلَ لي: الشعرُ أنتُ!

- لماذا حَفِظْتُ الكَثيرَ، وأنسيتُ شعري؟

أخانتني الذاكرة؟

- أريدُ إضافةَ عُمُرٍ لِعُمري

وأُهْمِلُ ساعتيَ الحاضرةَ

- أضعَتَ الكتابَه؟

- نعم، وأضعَتُ طريقَ الكلامِ

ولم أنتبه لِسحابِ الكآبهِ

يمرُّ - ويترُكُنِي مهملاً - كالغمامِ

كتبْتُ من الشُّعرِ ما يكتفي بقراءتهِ المحبَطُونَ..

متى سوفَ ينمُو على لُغتي الياسمينُ؟

تأخَّرَ.. لكنَّهُ لا يَخُونُ.

والقصيدةُ عندي يمامةُ
 سافرتُ في أعالي الكلامِ..
 فحاصرها حُلُمُها كالغمامةِ
 ثمَّ عادت إلى شجرِ الأغنياتِ لتُكَمِّلَ تهديلاً..
 والشتاءُ البليغُ يمدُّ ظلامه.

ويسألني شاعرٌ:

- هل سأبقى وحيدَ الصدى بين قلبي وبين الورق؟!

- أنا شاعرٌ منحَ الناسَ نهرَ المجازِ..

ولكنَّهُ في لهيبِ الرموزِ احترقُ

ولا أحدٌ يتذكّرُ حينَ مشيتُ وحيداً لدى شجراتِ

الشفقِ

لأكتبَ بيتاً جديداً التراكيبِ، مضطرباً بين صفو السماءِ

وريحِ القلقِ

ولا أحدٌ يتذكّرُ عني سوى الحزنِ..

لم يعلموا أن حزني مقتبسٌ من حواشي الأرقِ

- كأنك يا صاحبي تتحدثُ عني..

لأني وأنتَ نرممُ وحدتنا بغدٍ مُخلَقٍ!

ونكتبُ بالكلماتِ الصغيرة..

نُسرعُ إيقاعها..

ونزيدُ لغاتِ العصافيرِ همّسا

لأنَّ الطفولةَ في ساعةٍ سوفَ تُنسى

ويبقى الكلامُ الجميلُ يذكّرُها حلماً كان أمّسا

تمنّى له شاعرٌ أن يُطلَّ سعيداً..

ويُشرقَ في آخرِ العمرِ شمساً.

وقد تَسْكُنُ الروحُ سطرًا من النثرِ أو لوحةً في الجدارِ..

لَتُصْبِحَ شعرا

وقد يسكنُ الشَّوقُ أغنيةً في المساءِ..

لَتُصْبِحَ ذكرى

وقد يسكنُ الحبُّ بيتًا قديمًا..

ليصبحَ قصرًا

وقد يسكنُ النُّورُ في حُلْكةِ الأُمْنِيَّاتِ..

لَتُصْبِحَ فجرا.

طريقُ القصيدة

ممّهدةً، والمعاني - كما قيل - مطروحةً..
ولمَن شاء أن يتخيرَ منها حياةً جديدةً
ولكنَ معانيكَ - يا بلدي - كم بعيدة
وما مِن طريقٍ تؤدِّي إليها سوى الحلمِ..
تلك الطريقُ الوحيدة
إلى فكرةِ البلدِ المطمئنِّ..
إلى آخرِ الأمنياتِ العنيدة.

مِنَ الشَّعْرِ مَا هُوَ أَعْلَى مِنَ النَّجْمِ، أَكْمَلُ مِنْ إِكْتِمَالِ
القَمَرِ

مِنَ الشَّعْرِ مَا هُوَ قَاسِي المَلامِحِ، لَكِنَّهُ نَاعِمٌ كَرِذَاذِ المَطَرِ
نَعَمٌ، وَاضِحٌ كَصَبَاحٍ وَلِيدٍ..

وَلَكِنَّهُ غَامِضٌ كَالدُّجَى، مَبْهَمٌ كَالْتَفَافِ الشَّجَرِ
أَسَالِيبُ خَفْضِ جَنَاحِ المَعَانِي تَسَهِّلُ لِي كَيْفَ أَفْهَمُ رُوحَ
القَصِيدَةِ أَكْثَرُ؛ إِنْ أَتَقَنَّتْهَا فُرُوعُ الصُّورِ

وَتُعْجِبُنِي خَامَةُ الْكَلِمَاتِ الْعَتِيقَةِ تَنْسَابُ بَيْنَ السُّطُورِ
الْجَدِيدَةِ..

تُعْجِبُنِي مَفْرَدَاتُ الْحَوَارِ النَّدِيِّ الَّذِي بَيْنَ شَطْرِ وَشَطْرٍ
خَيَالِي مَكَانٌ أَحَبُّ الدُّجُوءِ إِلَيْهِ إِذَا شَوَّهَتْهُنِي الْحَيَاةُ..
حَرِيٌّ بِنَا أَنْ نَغِيبَ قَلِيلًا، وَنَنْسَى..
لَكِي يَتَنَفَّسَ فِينَا الْيَقِينُ، لَكِي نَتَعَاطَفُ شَيْئًا مَعَ النَفْسِ؛
لَوْ ظَاهِرِيًّا..
لَكِي يَتَكَسَّرُ صَوْتُ الْحَجَرِ.

هو الشَّعْرُ..

صَوْتُكَ مَخْتَبَأًا فِي ظِلَالِ حَدِيقَةٍ

هو الشَّعْرُ..

حُبُّكَ حِينَ يَفِيضُ بِهِ الْقَلْبُ ذَاتَ مَجَازٍ..

هو الشَّعْرُ..

بَعْضُ الْفُضُولِ الْجَمِيلِ إِلَى سَاعَةٍ مِنْ حَقِيقَةٍ

هو الشَّعْرُ..

طِفْلٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الرَّشِيقَةِ

أَصْغَاعُ الْخَيَالِ الْبَعِيدِ إِلَى الْوَاقِعِيِّ طَرِيقَةٍ.

هو الشعرُ..

حرفٌ لطيفٌ، وصورةٌ معنى

بهذا الصدى يتداوى خيالُ الغريبِ المعنى

يقولُ إذا شدَّه الصوتُ: «قد مرَّ هذا!»..

وما مرَّ معنا

ولكنَّ روحًا خلالَ السُّطورِ تعبَّرُ عنا.

آخِرَ اللَّيْلِ أُبَحِّثُ عَنْ أَيِّ مَعْنَى جَمِيلٍ
 لِأَسُدَّ بِهِ حَاجَةَ الْأَرْضِ نَحْوَ طِبَاعِ النَّخِيلِ
 رَبِّمَا اعْتَدْتُ أَنْ أَعْبُرَ الْيَوْمَ وَحْدِي دُونَ خِيَالٍ..
 وَلَكِنْ وَحْدَ اللَّيَالِي طَوِيلُ
 وَأَنَا لَا أَظُنُّ الْقِصَائِدَ كَافِيَةً لِأَكُونَ الْهَدِيلُ
 .. آخِرَ اللَّيْلِ يَنْقُصُنِي ذَلِكَ الرَّائِعُ الْمُسْتَحِيلُ.

أزورُ مجاهِلَ قلبي
 أتابعُ أشباحَهُ مستعيناً بما فيه من ذكرياتٍ..
 ومن قلقٍ وبقيةِ حُبٍّ
 وأبحثُ بينَ تفاصيلِهِ عن شُخوصي..
 وعن آخري المتخبّي
 كتابٌ قديمٌ هو القلبُ، ماضٍ سأقروُهُ نادراً..
 ثمَّ أُهملُهُ دونَ ذنبٍ
 وأتركُهُ حينَ ينفجرُ الفجرُ..
 حيثُ أعودُ لهذا العناء.. كما عادَ من يدهِ المتنبّي.

تكون القصيدة أجمل:

إذا انطلقت كالصَّهيل المحجَّل

لمنحدرات المعاني.. إلى قِمَمِ المتخيَّل

إذا غلغلت بين أحراج أرواحنا.. وسهول الكلام

البليغ المدلَّل

إذا أتقنت معجم الحزن والفرح المُشْتَهَى..

وتكون القصيدة أكمل:

إذا أغلقت بأمانٍ مفتحةً للمؤوَّل.

عندما الشُّعراءُ

يُرسلونَ الضياءَ إلى قمرِ دامسٍ في العراءِ
أو يرونَ البلادَ الضحيَّةَ عامرةً..

لا حروبَ ولا غُرباءَ!

أو يرونَ يدَ الموتِ تخمِشُ أرواحنا..
فيقولون: ما أجملَ الشهداء!

فانتبه..

ثمَّ قلبٌ مريضٌ يموتُ هناك..

ويبحثُ عن أملٍ في الشفاءِ

(المُحاصرُ بالموتِ يُبصرُ من ثُقُبِ إِبْرَتِهِ الكونَ..

والعكسُ، فالورقاتُ لدى الشعراءِ فضاءً.. فضاءً).

وَمَرَّتْ سَنَةٌ

وَلَمْ يُعَدِّ الشَّهْدَاءُ إِلَى السَّوْسَنَةِ

بَعِيدُونَ أَنْتُمْ كَثِيرًا..

كَأَمْسٍ

قَرِيبُونَ مِنَّا..

كَظَلٍّ يُلاحِقُنَا، أَوْ كَهَمْسٍ

مُضِيئُونَ جَدًّا..

كَشَمْسٍ

.. أَحَاوُلُ أَنْ أَصْطَفِيَ لِلشَّهِيدِ مَعَانِيَ تُشَبِّهُهُ

فِي حَدُودِ الْحَقِيقِيِّ وَالْوَاقِعِيِّ

بِدُونَ انْزِيَاكِ وَلَا أَنْسَنَةٍ.

وعن أيِّ معنَى أُحدِّثُكم يا رفاق الحنينُ؟
 عن اللاجئين الصغار، وعن أعينِ المبعدينِ
 عن الدُّورِ..

تسقطُ أحلامنا فوق أنقاضها كالعصافيرِ ميّتة؟
 أو.. عن الموتِ أصبحَ يعتادهُ الناسُ في بلدِ المتعبينِ؟
 حزينٌ أنا يا رفاقي.. حزينٌ
 تأكدتُ أن القصيدةَ لا تعني بالحقيقة..
 أن السنينِ

ستطوي كلامًا كثيرًا كتبناه طيَّ السَّجَلِ..
 ليبقى الكلامُ الشهيدُ الرّزينُ.

وَكُنَّا نَتَابَعُ أَخْبَارَنَا فِي الصَّبَاحِ عَلَى أَوْجِهٍ الْعَابِرِينَ
 وَنَشْرَبُ قَهْوَتَنَا مُرَّةً مِنْ يَدِ الصَّابِرِينَ
 إِلَى أَنْ خَرَجْنَا نَجْرُ حَقَائِبَنَا مُجْبَرِينَ
 .. وَمَرَّتْ عَلَى الْغُرَبَاءِ سِنِينَ
 نَسُوا مَا نَسُوا بَيْنَ أَيَّامِهَا..
 وَأَضَاعُوا مَعَالِمَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الْحَزِينِ
 وَهَذَا هُوَ الْعُمُرُ..
 يُقْطَعُ بَيْنَ حَنَانٍ وَبَيْنَ حَنِينٍ.

هؤلاء الذين قَضَوْا في الحُرُوبِ
والذين مَشَوْا في اغْتِرَابِ الدُّرُوبِ
يرحلون..

وتبقى خيالاتهم تنزوي في رِقَاقِ القلوبِ
في الرؤى العاطفيّة..
والنبضات التي نهشتها الثُّقُوبُ
في العيون التي انتظرت للغريب..
ولم تكثرث بغروبٍ يمرُّ وراء غُروبٍ.

تستيقظُ المدينةُ العمياءُ
تخونها عيونُها.. فلا ترى الأشياءَ
تُصغي بكلِّ حُزنها إلى أنينِ الموتِ
وتعتني بما يرى خيالُها في الصَّوتِ:
بلابلٌ تبكي على قَتيلٍ
خُطى غريبةٌ على النَّجيلِ
طائرةٌ بعيدةٌ
ترفع صوتَ القصفِ
تمرُّ فوق بلدةٍ وحيدةٍ..
تركُّها كالعصفِ

طفلانِ يشرحان للكبار..

قصة الزلازل

ولحظة الحصار والتفاته الجنود بالقنابل

مآذن جريئة تبحث عن بلال

أجوبة تحمل السكوت والسؤال

.. وهكذا تختلط الأصوات

ويهبط الليل لكي يوارى الأموات

.. مدينة كثيرة الصدى

شهيقها كأنه المدى

لكنها قصيرة الزفير

يدعوها: مدينة القبور.

بما يحتوي من أيادٍ تورَّم أطرافُها..
 وبما ينزوي الناسُ بحثًا عن الدَّفءِ فيه..
 وما في بداياته من شجونٍ..
 يجيئُ الشتاءُ
 لماذا يُحسُّ به الفقراءُ فيرتجفونَ ارتجافًا..
 ويحترقُ الشعراءُ؟
 أفي البردِ تُشعلُنا جمرَةُ الحزنِ..
 يا أصدقاء؟

سندكرُ في آخرِ الشهرِ..

أَنَّ آذَارَ لم يَكْتَرِثْ لحُضورِ الربيعِ كعادتهِ كُلَّ عامٍ
سندكرُ أَنَّ الورودَ اعتنتْ بتكسُّرها..

قَبْلَ أَن تلتقيَ بالغمَامِ
وَأَنَّ تفاصيلَ خُصرتِها أَجَلَّتْها الحديقةُ وانتظرتُ..
وانتظرنا السلامَ

سندكرُ في آخرِ الشهرِ..
أَنَّ السنابلَ لم ترتفعْ لتُقاتِلْ
وَأَنَّ اقترابَ النخيلِ من الأرضِ كانَ فقط لاحتواءِ
السنابلِ

- أَمِيلُ إلى الشجرِ المُنحني والمعلِّقِ أَكثَرَ منه إلى شجرٍ
مترَفٍ في المنازلِ -

سندكرُ في آخرِ الشهرِ أنَّ المَطْرَ
يودّعنا ليُبشِّرَ بالموسمِ المنتظرِ
.. أيعرِفُ آذارُ أنا نشبهُ أحلامنا بالشجرِ؟

وأنا.. كباقي البشرِ
نقولُ إذا التفّتِ الساقُ بالساقِ:
هذا أو أن الثمرَ؟

نهايةُ آذارٍ، بالضبطِ، آخرَ هذا المساءِ
تخلّيتُ عن حيرتي..

واقتربتُ لأسألَ أرواحهم في السماء:
لماذا تُحيطوننا بإطارِ الربيعِ..
ونحنُ نهمّشكم بالدماءِ؟
ولكنّهم لم يُجيبوا..

وأصبحَ آذارُ في زمنِ الشُّهداءِ.

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ..

ماتوا

فخَفَّ الضياءُ أمامي..

وْغَابَتْ نُجُيْمَاتُهُمْ فَأَضَعْتُ طَرِيقِي إِلَى حُلْمِي..

وَاتَّجَهْتُ فَخَانَتْ خُطَايَ الْجِهَاتُ

وَكُنْتُ بِحَاجَتِهِمْ كِي أَسِيرَ عَلَى ظِلِّهِمْ..

وَأَتَابَعُ مَا يَتْرُكُونَ مِنَ النُّورِ

.. هَذَا الْمَدَى ظُلُمَاتُ

وَأُبْحَثُ مِنْ بَعْدِهِمْ عَنْ شُعَاعٍ..

وَعَمَّنْ يَرْبِّيَ الْحُرُوفَ الطَّهَوْرَةَ فِي الرُّوحِ..

يُشْعِرُنَا مَا الْحَيَاةُ

نعم رحلوا..
وبقيتُ أُرَدِّدُ أسَاءَهُم كَيْتِمٌ..
وَمِنْ بَعْدِهِمْ تَتَوَضَّأُ عَيْنِي إِذَا ذَكَرَ السَّالِكُونَ مُحَاسِنَهُمْ
وَأَفَاضُوا بِأَخْبَارِهِمْ..
وَرَوَاهَا الرُّوَاةُ.

يرحلون..

وتبقى قناديلهم في القلوب التي في الصدور
أوقدوها بنور البصيرة والسَّهر المستمر على شُرُفاتِ
البدور

الصُّقُورُ التي اقتنصت فكرها..

أين تمضي الصقور؟

والسُّطُورُ التي كتبوها لنا بأصابع راعشة..

كيف تُمحي السطور؟

والعيون التي انتظرت حُلَمَها لحظات البُكور

كيف تترك أحلامها..

وتغمض أجفانها في ظلام القبور؟

وأنا أسمعُ الآنَ نعيَ الحُرُوفِ
على شاعرٍ ماتَ من قسوةِ البردِ والفقرِ..
فوقَ رصيفٍ
مرَّ قلبُ الشتاءِ الأليفِ
ثمَّ ألقى عليَّ قصائدَهُ.. عاليًا، عاليًا..
ثم ماتَ كأمنيةٍ في الخريفِ.

مرَّ ليلي ولم أنتبه
 كنتُ أقرأُ مُعْجَمَ هذا السُّكُونِ
 السكونِ الذي يتشكَّلُ من موتِهِمْ عندما يرحلونُ
 كنتُ أقرؤه..
 فتَفِيضُ اللُّغَاتُ بصمتٍ تصالَحَ فيه الفراغُ العميقُ..
 ودمعُ العيونِ
 كم بليغٌ هو الموتُ
 .. لو تَسمعونُ.

المصايحُ القديمة

لم تزل تجذبُنِي رَغَمَ المسافاتِ من اللَّيْلِ ومن سالفِ

أيامٍ يتيمةٍ

وانتظاري قُربَها يجعلُ رُوحِي أقربَ الأشياءِ للنُّورِ

وللعَيْنِ الرحيمَةِ

يشبهُ المصباحُ ما نفقدهُ اليومَ ولا نعلمُ بالضبطِ لماذا؟..

أحنينُ لَغدٍ في الغيبِ، أم..

هوَ ماضٍ صادفَ اليومَ نديمَه؟

[منزل دمشق قديم في قرطبة]

وأوقفني قائلاً: هل نسيت الوصية؟
 وإذ قلت لي في التواء الطريق:
 إذا غنت الروح فهي المعاني القصية
 وإن شغلتنني تفاصيل شُبُورَةِ الصُّبحِ..
 فهي المني القمريّة

فأين دليلك..

غير الصدى المتهدج، غير العيون النديّة؟

وأوقفني قائلاً: يا حوارِيّ، نَسِيَ كثيرًا..

ولكنّ تلك البلاد علينا عصيّة

(دمشقيّة نكهة الأرض في طيّ تلك السُّطور، وإن

شئت أندلسيّة..

هنا وهناك فقدنا حضارة أسلافنا.. وأضعنا الهويّة).

عِنْدُ صَفَاءِ الْمَعَادِنِ بَيْنَ عُرُوقِ الْجِبَالِ
تَتَّبَعْتُهَا..

مَرَّ عُمْرٌ، وَمَرَّ الْخِيَالُ
وَلَمْ أَلْقِطْ حَجْرًا بَعْدُ أَجْعَلُهُ مِثْلَ وَاسِطَةِ الْعِقْدِ..
أَوْ نَجْمَةً بَيْنَ شَطْرَيْنِ يَتِمُّهَا الْبَحْثُ فِي طَبَقَاتِ الْكَمَالِ.

وقد تلتقي نعمةً بمكانٍ
 فيُضفي المكانُ على اللّحنِ نكهتهُ، ثمَّ يلتصقُ اللّحنُ
 بالأرضِ..
 يتحدانُ

وقد يفقدُ اللّحنُ لذتهُ حين يُبعدُ عن أرضهِ..
 وهناك يحنُّ الصُّبا للصُّبا باكيًا..
 وينكسرُ النَّايُ للنَّايِ..
 يصهلُ في ألمِ الروحِ مثلَ حصانٍ
 .. صديقي، ولم أدرِ هل للمكانِ حينُكَ أم لصديّ
 عابرٍ في الزمانِ؟
 ولكنْ إذا طالَ عنها الغيابُ فغنّ:
 الأمانُ.. الأمانُ.

هُنَالِكَ مَنْ يَتَعَمَّدُ صُنْعَ الْكَثِيرِ مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ مَعَ

النَّاسِ..

يَجْعَلُنَا نَتَفَاءُلُ أَكْثَرَ، نَشْعُرُ بِالْحَبِّ حَقًّا، يَقَرِّبُنَا مِنْ أَمَانٍ

وَوَعْدٍ

هُنَالِكَ مَنْ يَضْحَكُونَ لَدِينَا كَثِيرًا، وَيَبْكُونَ لَكِنَّا لَا

نَرَاهُمْ..

عِظَامٌ وَلَكِنْ تَوَاضَعُ لَهُمْ لَا يُحَدُّ

هُنَالِكَ مَنْ يَمْنَحُونَكَ لَوْ أَبْصَرُواكَ دُعَاءً لَطِيفًا..

وَيُهْدُونَ قَلْبَكَ - اللَّهُ - بِسْمَةِ وَرْدٍ

.. ألا نتساءل:

لو أنهم لم يكونوا هنا كيف كنا سنحيا؟ ونبقى على أيِّ عهد؟

أولئك لو رحلوا فجأةً يتركون ثقوباً تعمُّ القلوب..
نعم، تتهدج أصواتنا حين نذكرهم، وتغيم العيون..
ويبدأ للحزن وصف وللشوق سرد
وماذا على أحد أن يعيش ليترك عطراً بأبواب
أصحابه..

ثم يمضي والعطر باقٍ..
ووردته لم تلامس يد الوعد بعد؟

یرحلون.. وتبقى مصابيحهم في الدُّروب
 في سُطورٍ نَصافِحُ فيها أياديهم..
 ونشاهدُ أوقاتهم كيفَ كانتْ تذوبُ
 في تواضعهم، صمتهم غالبًا..
 وابتساماتهم رغمَ هذا الشُّحوبِ
 في الحياةِ البسيطةِ، والإقترابِ من الضُّعفاءِ..
 وحبِّ البعيدِ كحبِّ القريبِ
 .. آخرُ العمرِ أوَّلُ عهدٍ جديدٍ، يقولُ لنا من وراءِ
 الغُيوبِ:
 هكذا نتركُ العُمَرَ مُمتلئًا بالقلوبِ.

هكذا الأُم:

يُشَبِّهُهَا الْوَرْدُ فِي الْإِنْكَسَارِ مَسَاءً..
وَيَقْطِفُ ضَحْكَتَهَا الْعُمُرُ مِنْ بَيْنِنَا فَجْأَةً..
بَعْدَ أَنْ لَا يَعُودَ لَدَى قَلْبِهَا فُسْحَةٌ لِلْمَزِيدِ مِنْ
الْأُمْنِيَّاتِ..

فَتَخْتَارُ أَنْ تَسْتَرِيحَ.. وَتَعْلُو
وَإِذَا تَعَبَ الْوَرْدُ..
مِنْ عَبَقِ الْعَطْرِ يَخْلُو.

أَجْمَلُ الذِّكْرِيَّاتِ

ضَحْكَةٌ كُنْتَ تَصْنَعُهَا فِي وَجْهِهِ الْحَزَانِي وَمَنْ خَسِرُوا
حُلْمَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

أَنْ تَقُولَ لَوَاحِدِهِمْ: هَوْنِ الْأَمْرِ..

ثُمَّ تَوَاسِيِ الْبَكَاءِ عَلَى جَفْنِهِ بِيَدِ الْأُمْنِيَّاتِ

ثُمَّ تَمْضِي إِلَى سِرِّهِ فَتُخَبِّئُهُ فِي جَنَانِكَ مُنْتَظِرًا مَنْ يُوَاسِيكَ
أَنْتَ..

أَلَسْتَ حَزِينًا وَفِي حَاجَةٍ مِثْلَهُمْ لِلصُّعُودِ عَلَى دَرَجَاتِ
الْبَيَّاتِ؟

ويحدثُ أن يتلاقى غريبانِ من قريةٍ واحدَةٍ
ولم يتلاقَ كَلامُهُما مِن قديمٍ (لِمَا لظُرُوفِ الحِياةِ مِن
البُعدِ والفجوةِ المستمرةِ بينَ العيونِ وغفلتِها الباردةُ)
ويحدثُ أن يتلاقى الغريبانِ..

يستذكرانِ خريفَ الحِياةِ وعِشتَها الزاهدةَ
قليلاً مِن الوقتِ..
هل صُدِفَةً نلتقي، أم على قَدَرٍ كان وعدُ كَلِينا مع الغُربةِ
الشاهدةُ؟

ويفترقانِ، وهُمُّهُما لم يَزَلْ زفرةً زفرةً صاعدةً
.. إلى أين تمضينَ يا زفرةَ الغائبِ العائدةُ؟!

يا صديقي، ظننتُك لا تشتكي مِنَّا للورق
تكتُم الجرح كالسرّ..

والجرحُ نُظهِرُهُ ونُبوحُ بقصّته للغسق
وتعالجُ وخز الحرابِ بصمتك..
والآه نُعلنُها والحرقُ

يا صديقي..

رأيتُك بالأمس - في خُلسةٍ - واضح الدّمع، مدّثرًا
برداءِ القلق

ربّما مرَّ عُمُرٌ جهلتُ معانيك..

حتى عرفتُك حينَ اعتراك الأرق!

كان مُنزويًا في تفاصيلِ عُزَلَتِهِ.. وخفيَّ الأَينُ
حين قاطعتهُ مشفقًا:

ما لَشَوْكَ لا ينتهي؟ وَيَ كَأَنَّكَ للذكرياتِ القويُّ
الأمينُ!

أولستَ ترى ما الذي صنعتَ بِبريقِكَ قامَةً ليلِ
الحنينِ؟

أَمْ قَدْ اعتدتَ أَنْ تنشُرَ الذكرياتِ أمامَكَ ليلًا..
وتطويها في الصباحِ كطيِّ السجِّلِ الثمينِ؟
.. واصفًا صبرَهُ بالقليلِ، مضى ليُحدِّثني بحديثِ
الصَّبُورِ الرَّزِينِ:

قال: ترسو الموانئ.. ترسو الموانئ بالعائدين
وأنا ما رسا بي بحر الحياة على وطن..
بل غرقت ولم أنج من جذب دومة الراحلين
أتلقي بسرائي كف الحقيبة..
ثم أودع قافلتني بكاء اليمين
وأقول: لعل الزمان القريب يعود بقلبي إلى لفحة
الرمل أو نفحة الياسمين..
هل تذكرت ذاك البعيد الحزين:
البعيد الذي سار نحو السراب الضنين
والحزين الذي تلّ بسمته للجين؟

هو أنتَ / أنا.. فكلانا الوفيُّ لُغْرَبَتِهِ، وكلانا السَّجينُ..

السَّجينُ لها والطَّعِينُ

(هكذا ألتقي في مَناهاتِ نفسي بنفسي.. أحوِرُها بينَ

حينٍ غريبٍ وحينٍ

ربِّما لا أكونُ وحيدَ المُونولوجِ هذا.. فَرُبَّتْ مُنفردٍ

بعواطفه لا يكادُ يُبينُ

فِينادي البُكاءَ ليُكَمِّلَ مشهدهُ..

ولعلَّ البُكاءَ - ولو ظاهريًّا - يخفِّفُ عنه عناءَ السَّنينِ).

ذاهبٌ في المدينةِ أبحثُ عما يقربُني للقصيدةِ أكثرُ
 كلُّهم يركضونَ إلى قُوَّتِهِم، والقصيدةُ قُوَّتِي..
 إلى أين أركضُ؟ في كلِّ يومٍ أحسُّ بأنِّي إلى الشَّعرِ أفقرُ
 البيوتُ مغلقةٌ يَسْكُنُ الصَّمْتُ والحزنُ فيها..
 كما أنَّ بيتَ القصيدةِ صمْتُ حكيْمٍ وحزنٌ مُشَطَّرٌ
 ومجالُ القصيدةِ رَحْبٌ فسيحٌ فصيحٌ..
 وقلبُ المدينةِ بابٌ مسكَّرٌ
 وطريقُ المدينةِ مختنقٌ بالغبارِ..
 ودربُ القصيدةِ مسكٌّ وعنبرٌ

المدينة باردة، تحتفي بالقصيدة مثل احتفاء الغريب
بتلك المدينة:

يومٌ كيوم، وشهرٌ كشهر.. ولا شيء يُذكر
وغريبُ المدينة ظلٌ خفيفٌ مكسّر..
وغريبُ المدينة غُصنٌ تساقطَ عن جذعه..
وهوى قطعةً قطعةً في طريق الخيال المحرّر
هكذا.. كلُّ يومٍ أدورُّ فيه على صدمةٍ توقظُ الشّعْرَ من
مَوْتِه..
هو شعْرٌ.. وأكثرُ.

الحياةُ كلوحةٍ حُلِمَ معلقةً في جدارِ العيونِ، لها جانبانُ:
 جانبٌ أتأملُ فيه كلامَ النهارِ..
 أُللمُّ أصواتَ أشجاره..
 وأعدُّ غيومَ الزمانِ
 ولها جانبٌ شاحبُ الصَّمتِ..
 مُلتصِقٌ بسوادِ الجدارِ..
 ولا شجرٌ فيه يُعطي الأمانَ
 (هل رسمتُ حياتي في لوحةٍ يتحققُ فيها جمالُ
 المكانِ؟).

أكتفي بابتسامةٍ وُدٍّ إذا قلتُ للأصدقاء: وداعا
 ربِّما لا أريدُ السَّلامَ الأخيرَ عليهم..
 لعلِّي غداً سأعودُ لتطوي يداي الشُّراعا؟
 مثلما اعتدتُ أن يرحل الآخرونَ سأرحلُ عنهم..
 كذا سوفَ نقطعُ أعمارنا فُرقةً واجتماعاً
 أتذكُّرُ حينَ تلاقتُ خطانا على طُرُق الضُّوء..
 كيفَ تلاشتُ؟
 كأنَّ تلاقيها كان حُلماً.. وضاعاً.

ليُكُنْ قَلْبُكَ أَخْضَرَ 

وَلْتَشْبِهُهُ بِتِلْكَ السَّرْوَةِ الْغَضَّةِ فِي الرَّوْضِ الْمَسْوَرِ

خَضَرَتْ أَغْصَانُهَا، وَارْتَدَتْ الثُّوبَ الْمُشَجَّرَ

وَصَدِيقًا لِلنَّدَى كُنْ، وَاتْرُكِ النَّهَرَ الْمَكْرَرَ

- لَا عَلَى الْإِطْلَاقِ - وَلْتَنْسَ أَحَادِيثَ الْمَدِينَةِ

وَانْشَغِلْ شَيْئًا فَشَيْئًا بِتَهَاوِيلِ رَبِيعٍ قَادِمٍ مِنْ يَاسَمِينِهِ

سَامِحِ الشَّوْكَ عَلَى أَخْطَائِهِ.. لَا لِأَنَّ الشَّوْكَ يَوْمًا يَتَغَيَّرُ

بَلْ لِكَيْ تَرْتَاحَ مِنْ.. وَخَزِهِ غَيْرِ الْمَبْرَرِ

رُبَّ شَوْكَ عَبَرَتْ مُفْرَدَةُ اللَّوْمِ إِلَيْهِ مِنْ فَمِ الشَّيْخِ الْمَعْطَرِ

.. فَتَكْسَرُ

وتواضع، واحضن العُشبَ المصغرُ
وصِفِ النخلةَ للعُشبِ فقد.. يَشْمَخُ العُشبُ وَيَنْضُرُ
شبهه النخل - كشوقي - بالمآذن
وتحدّث - كامري القيس - عن القنوانِ في تلك
المساكنِ

التي.. تجلسُ الأيامُ في أطلالها.. مثل مَنْ قد يتذكّرُ
ولدى ما يُوجبُ الصبرَ جميلٌ أن تصبّرَ
من لد الضيقِ، إلى مُبتدأ السَّهلِ، إلى خاتمة الدَّربِ
المحرَّرِ

واقتبس من بسمَةِ الغيمِ عن البرقِ ابتساماتِكَ، فالمرُّ
جُ إذا مرَّ به الغيمُ بطيئاً كأمرٍ يتبخترُ
ضحكُ المرج كطفلٍ.. ثمَّ أزهَرَ

وَأَتْرَكَ الْعُمَرَ مُوَشَّى بِالرِّضَا

وَاسْتَفِدَّ مِمَّا مَضَى ..

وَاسْتَفِدَّ مِمَّا مَضَى أَنْ تُهْمَلَ الْحُزْنَ الْمَشْطَرُ

ذَلِكَ الطَّاعِي عَلَى شَعْرِكَ مُذْ فِيهِ تَجَذَّرُ

.. عَاهَدَ السَّرْوَةَ مَنْ لَمْ يَتَأَخَّرُ

وَلَدَى أَغْصَانِهَا عَشَبَ فِكْرٍ فَوْقَ دَفْتَرِ

وَعَلَيْهِ رَسَمَ الشَّاعِرُ قَلْبًا كَانَ أَخْضَرَ.

وَمَنْ يَعْتَنِي بِشَتَاءِ الْمَدِينَةِ

سِوَى قَمَرٍ غَارِقٍ فِي ضَبَابِ السَّكِينَةِ؟

تُضِيءُ الْمَصَابِيحُ مِنْ حَوْلِهِ، آيَةً آيَةً، فَتُسِيلُ عُيُونَهُ

لَهُ بَيْنَ أَحْرَفِهَا رَاحَةٌ، وَلَهُ فِي تَدَبُّرِهَا نَغَمَاتٌ شَجِينَةٌ

يَمُدُّ الْأَمَانِي عَلَى رَاحَتِيهِ إِلَى رَبِّهِ.. وَيُنَاجِي مُعِينَهُ:

إِلَهِي، لِمَغْفِرَةٍ مِنْكَ أَوْسَعُ مِنْ بَحْرِ ذَنْبِي..

وَمَا خَابَ قَلْبٌ يَمُدُّ إِلَيْكَ يَمِينَهُ

وَكَانَ وَحِيدًا عَلَى سَاحِلِ الْيَأْسِ، مُحْتَمِيًّا بِتَسَابِيحِهِ..

يَتَرَقَّبُ - أَوْ رُبَمَا يَتَخَيَّلُ - يَوْمَ اقْتِرَابِ السَّفِينَةِ.

مَنْ يَذْكُرُنَا..

بالقناديلِ في مسجدِ الحيّ..

كَانَتْ تُضِيءُ بِأَشْكَالِهَا وبألوانِهَا كَالْبُدُورِ

بِالْتَّرَاوِيحِ تَصْطَفُّ فِيهَا ضَمَائِرُنَا خُسَعًا..

حَيْثُ لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ نُورٍ وَنُورٍ

بِالْهُدَايَاتِ فِي سُورَةِ الْقَدْرِ.. نَعْرِفُهَا مِنْذُ كُنَّا صَغَارًا..

وَتَعْرِفُنَا فِي الْقِيَامِ الْأَخِيرِ؟

كَانَ صَوْتُ الْإِمَامِ يَحْرِّكُ رُوحَ التَّقِيِّ..

وَكَانَتْ لَهُ فِي دَعَاءِ التَّهَجُّدِ أَمْنِيَتَانِ وَأَدْمَعُ خَوْفٍ..

إِذَا مَرَّ ذِكْرُ الْمَصِيرِ

كيف ننسى خطي المطمئنين نحو الصلاة..
وكاد الأذان الحبيب بقلب المحب يطير؟
حين كنا نرى في مصاحفنا نزهة المتقين..
ونفهم من آيها ما رواه العبير
ونُصلي، نُصلي.. ولا شيء أكثر..
حتى نحس بعفو الغفور السّير
من يذكرنا..
ربما تبعث الذكريات الشّجا..
والشّجا ليس إلّا حين الصّميز^(١).

(١) [إسطنبول: ليلة رمضان ١٤٤١هـ، زمن الخطر - كورونا].

يُزَخِرُ الْفَاظَهُ بِهَدْوٍ الصَّلَاةِ..
وَيُخْتَارُ أَحْرَفُهُ مِنْ صَفَاءِ الصَّدَى
تَرَاهُ حَزِينًا.. وَمُنْكَسِرًا فِي الْخُشُوعِ..
فَلَا كُونَ فِي حُسِّهِ، لَا لَدَى
تَرَاهُ رَزِينًا.. وَمُنْهَمِرًا بِالْذُّمُوعِ كَقَطْرِ النَّدى
يَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا..
يَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا بِسْوَالٍ تَهْدَبُ فِي عَتَبَاتِ الْهُدَى
إِلَيْهِ.. وَمِنْهُ يُرَجِّي الْجَوَابَ الرَّحِيمَ غَدًا.

﴿سُبُلُ السَّلَامِ﴾

مَثَلُ الصَّبَا النَّجْدِيِّ مَرَّ عَلَى حَنِينِي ذَاتَ شَامٍ
 مَرَرْتُ عَلَى سَمْعِي.. فغافلني الغمامُ
 كَانَ النَّدَى يَخْتَارُ أَطْرَافَ الْعُيُونِ
 وَكُنْتُ فِي أَغْلَالِ يَأْسِي كَالسَّجِينِ
 وَكَانَ قَلْبِي مِثْلَ فَنُوسٍ بَلَا وَهَجٍ تَفَرَّدَ بِالظَّلَامِ
 حَتَّى إِذَا قَرَأَ الْإِمَامُ..
 تِلْكَ الْبَشَارَةُ، رَقٍّ، وَاشْتَقَّ الْمَقَامُ
 وَمَضَى إِلَى قَلْبِي كَشَمْسَةٍ مُصْحَفٍ.. لِيُضِيئَهُ بِأَشْعَةٍ
 الْقُرْآنِ ذِي الْأَسْرَارِ، سَرْدِي النَّظَامُ

عيني إلى البلدِ الحرامِ
- بادِ هوايَ إليه من بينِ الزَّحامِ -
ويدي على حاراتِ قلبي
هل تدقُّ سِوَى على أبوابِ ربِّي؟
وحدي بْبُستانِ الخشوعِ.. أشقُّ أنهارِ الكلامِ
في ظلِّ أشجارٍ مِنَ الآيِ الكريمِ تُطلُّ من صُحفٍ كِرامِ
أنا في أهاضيِبِ الجنانِ..
سُحِبُ البَيانِ على التلالِ، وتلكَ أريافُ المعاني
فانتخبَ عِطَرَ الخُزامِ
أنتَ الجديرُ بهِ.. فُضِّمَ أريجُهُ، واذهبَ بعيداً حيثُ لا
تلقَى الأثامَ

- صمْتُ خَفِيفٌ كَانَ فُسْحَةً عَابِدٍ لِيَجُوبَ آفَاقَ التَّدْبُرِ
وَيَرَى إِلَى الْكَوْنِ الْكَبِيرِ.. لَكِي يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ! -

اللَّهُ أَكْبَرُ.. مَا الْحَيَاةُ بِدُونِهَا إِلَّا طِبَاقٌ مِنْ قَتَامٍ
هِيَ - بَيْنَمَا يَتَحَكَّمُ الْقَلْقُ الْعَصِيُّ بِنَا - تَخِيَّمٌ بِالسَّلَامِ..
فِي النَّفْسِ، تَمْنَحُهَا السَّكِينَةُ
هِيَ هَمْسَةُ الْقَلْبِ التَّقِيِّ، وَصَرْخَةُ النَّصْرِ الْبَهِيِّ، وَسُلُوءُ
الرُّوحِ السَّجِينَةِ
صَارَ اعْتِيَادِيًّا إِذَا رَدَّدْتُهَا أَلَّا أُعِيرَ هَوَاجِسِي أَيَّ اهْتِمَامٍ!

كَالْخَاطِرِ الْمَكْسُورِ كَانَتْ قَامَتِي، تَرْوِي انْحِنَاءُهَا
اِفْتِقَارِي لِلْأَمَانِ، فَهَلْ أَلَامٌ..
لَمَّا شَدَدْتُ يَدِي بِحَبْلِ الْإِعْتِصَامِ؟

سُبْحَانَهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ، وَذُو الْجَلَالِ الْمُسْتَدَامُ
سُبْحَانَهُ، سُبْحَانَهُ..

تِلْكَ التَّسَابِيحُ الثَّلَاثَةُ أَيْنَ تَرَحَّلُ؟ أَيْنَ يَأْخُذُهَا الْيَمَامُ؟

وَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَامِدِيهِ لَدَى الْقِيَامِ
فَحَمْدُهُ.. حَمْدَ الْبَدَايَةِ وَالْخَتَامِ
حَمْدًا عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ..
حَمْدًا يَعْنِي بَتَابِعِ النِّعَمِ الْجِسَامِ

- مَا زَالَ صَوْتُ الْمَوْجِ فِي الْمَحْرَابِ مُضْطَرَبًا.. وَمَا زَالَ
الصَّدَى يَسْقِي مِنَ الْبُرِّ الْكَرِيمِ..
صَحْرَاءَ رُوحِي، وَالرَّبِيعُ يَمُدُّ بِهِجَتَهُ عَلَيْهَا مِثْلَمَا فَعَلَ
[الْيَمَانِي] فِي الْمُلَقَّةِ الْقَدِيمَةِ -

أَلْتَمُّ فِي نَفْسِي عَلَى سَجَّادَةٍ كَحَدِيقَةِ خَضِرَاءَ، فِي أَغْصَانِهَا
يَتَفَتَّحُ التَّسْبِيحُ عَامًّا بَعْدَ عَامٍ
بِيَدَيَّ أَلْتَمِسُ السُّجُودَ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَا أُرِيدُ
وَرَمَيْتُ سَهْمِي فِي السَّهَامِ
وَلَهُ اعْتَرَفْتُ بِحَاجَةٍ لَا شَيْءَ يَنْقُصُنِي سِوَاهَا.. ثُمَّ
ضَيَّعْتُ الْكَلَامَ

كَرَّرَ عَلَى سَمْعِ الْمُصَلِّينَ السَّلَامَ
يَا مَنْ إِذَا قَالَ: اسْتَوْوَا.. كَاللُّؤْلُؤِ الْمَنْصُودِ صِرْنَا، أَوْ
كَسِرِبٍ مِنْ حَمَامٍ

وانظر إلى المستغفرين من الزَّلَلِ
بعدَ التحيَّاتِ العظيمةِ لن نعودَ بلا أملٍ
خاويٍ الوفاضِ مِنَ الرَّجاءِ، فلا وراءَ ولا أمامَ!

ها قد تناثرَ عقدُنا نجماً فنجمًا بعدما طالَ الوِثامُ
وتفرَّقَ الجمعُ المباركُ بعدَ أن بلغَ المَرامُ
وبقيتُ أَسْتندُ الرُّخامَ..
في المسجدِ العالِي السَّماءِ
الهادئِ الأركانِ مِثْلَ كُتَيْبِ الذكري القديمِ.. على غُبارِ
الرَّفِّ نامُ
هَوْنًا أُمِدُّ يدي الضعيفةَ بالدُّعاءِ:
رَبِّاهُ، ساعِدني لِأَخْتارِ الحلالِ على الحرامِ
واجعَلْ صراطَكَ لي غداً..
حَبْلَ الخِلاصِ مِنَ الضُّرامِ

هَبْنِي يَقِينَ السَّفْحِ مِنْ أَحَدٍ.. وَبَلِّغْنِي السَّانِمَ
وَاجْعَلْ جَوَادِي سَابِقًا لِلْخَيْرِ، كَالسُّحْبِ الَّتِي تَطْوِي
الْمَدَى..

لَتُعِيدَ لِلْوُدَيَانِ أَزْهَارَ النَّدَى
هَلْ لِلْيَدِ الْبَيْضَاءِ إِلَّا صَهْوَةُ الْفَرَسِ الْمَحْجَلِ وَاللَّجَامُ؟
وَاسْمَحْ بِأَجْرِ الصَّدْمَةِ الْأُولَى لِمَنْ صَلَّى وَصَامَ
وَأَمْنَحْ لَهُمْ طِيبَ الْمَقَامِ..

مَنْ جَرَّبُوا صَبَرَ الْمَلَاجِي وَالْخِيَامِ
مَنْ صَادَقُوا الْأَمَلَ الْمَلَقَّ.. ثُمَّ لَمْ يَجِدُوهُ إِلَّا مَيِّتًا تَحْتَ
الرُّكَامِ

وَأَنَا الْمَقْصَرُ.. فَاهْدِنِي سُبُلَ السَّلَامِ
وَاجْعَلْ طَرِيقِي لِلْهُدَى سَهْلًا، عَلَى طَرَفِ الشَّامِ.

